

"في التسليم للعترة الطاهرة"

بلاغة الخطاب التاريخي
عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر
في المنظومة الخطابية

Eloquence of the Historical Discourse
Covenant of Imam Ali to Malik Al-Ashtar under :
the Discourse System

أ.م.د. صلاح حسن حاوي
Assist. Prof. Dr. Salah.Hassan.Hawi
العراق/ جامعة البصرة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
Iraq/ University of Basrah/ College of Arts/ Dept of Arabic

Salahal5hamil5@yahoo.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص:

تتوجّه هذه الدراسة الى معاينة نهج البلاغة عبر ثلاثة افتراضات: -
الافتراض الاول: امكانية أن يُنظر إلى خطاب نهج البلاغة بوصفه خطاباً تاريخياً،
وتستمد الوثائق والعهود (النصوص المتشكّلة داخل الخطاب) تلك الصفة من
النهج.

الافتراض الثاني: البحث عن تقديم مقترح قراءة بلاغية للخطاب التاريخي
بشكله العام ومن ثمّ جعل (عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر) نموذجاً لهذا الاقتراح
الافتراض الثالث: توسيع دائرة الدراسات البلاغية ومحاولة استقدام نصوص
وخطابات لم تكن من ضمن اهتمام الباحثين البلاغيين، عبر الانشغال التقليدي
بالخطابات المركزية العليا (القرآن، الشعر، والنثر) والدعوة الى جعل خطابات
أخرى لم يعتنَ بها محوراً جديداً للدراسة البلاغية، وهذا الافتراض سيفتح افتراض
تقديم مصطلحات ومفاهيم بلاغية تتناسب مع نوعية الخطابات المقترحة للقراءة.

وقدّمت هذه الدراسة محاور العمل متوزعة على النحو الآتي:

١. ثلاث اضاءات تناقش الافتراضات التي أعلنّا عنها.
٢. تحليل خطاب العهد وموقع الامام مؤرخاً ومنتجاً خطابياً، عبر اقتراح مصطلحي
المتكلم التاريخي والمتكلم الخطابي.
٣. قدرة الخطاب - بوصفه مكوناً اجتماعياً- على انتاج الهوية وفعاليتها داخل
المرسلة الخطابية بين المرسل (الإمام) والمرسل اليه (الوالي) وقناة الارسال (العهود
والمواثيق) ورابعهما السياق لما يكشف عنه من مناسبة.
٤. العناية بمفهوم المنظومة الخطابية الذي يجعل النص (عهد الإمام عليه السلام إلى مالك
الأشتر) يسهم إسهاماً فعالاً في أن يكون جزءاً من خطاب يمثل تصورات الإمام عليه السلام

الاجتماعية والسياسية والفلسفية والعقدية وغيرها ومن ثم توثيقها لتكون خطاباً تاريخياً متكاملًا.

٥. عقد المقارنة والتصحيح بين خطاب النهج وكتب التاريخ، عبر تثبيت الواقعة او الحادثة التاريخية ومن ثم مناقشتها بين الخطابين (النهج- وخطاب الطبري والمسعودي).

٦. الانتهاء بقراءة ختامية مثلت بعض الاستنتاج ومقترحات قديهم بها الباحث او غيره من الباحثين مستقبلاً، من أجل منح الدرس البلاغي فاعلية تتزامن مع طبيعة الخطابات المؤثرة في المجتمع.

Abstract

This study aims to examine the approach of rhetoric through three assumptions: the first assumption: the discourse of rhetoric can be seen as a historical discourse, and documents and covenants (texts formed within discourse) derive that characteristic from the approach. The second assumption: the search for a proposal to read rhetorically the historical discourse in its general form and then make (the era of Imam " peace be upon him " to Al-Ashtar) as a model for this proposal. The third assumption: to expand the circle of rhetorical studies and to try to bring texts and speeches that were not of interest and concerned with the linguists, through the traditional preoccupation with the high central letters (Quran, poetry and prose). The present study broaches the following areas of work.

- 1.Three illuminations discuss the assumptions.
- 2.Analysing the speech of the covenant and the location of the historian historically.
- 3.The ability of discourse -as a social component -to produce identity and effectiveness within the transmission of speech between the sender (the imam) and the consignee (Wali) and the channel of transmission (covenants and documents) and the fourth context to reveal his dementia of occasion.
- 4.Taking care of the concept of the system of rhetoric, which makes the text (the era of the Imam to Ashtar) contribute in an act to being a part of the speech.
- 5.Setting a comparison and an act of correction between the approach speech and history books, by confirming the historical incident and then discussing between the two speeches (approach - and the letter of Tabari and Masoudi).
- 6.Concluding with final reading and some suggestions that may serve other researchers in the future.

إضاءة أولى

ما الخطاب التاريخي؟ وهل هناك فرق بين التاريخ بوصفه سروداً ماضية والتاريخ بوصفه خطاباً؟

عندما نتابع التصوّر اللغوي للتاريخ سنجدّه مرتبطاً بمفهوم الزمان، إذ تقول العرب: أرّخ الكتاب بمعنى حدد الكتاب، فصلّ تاريخه وحدّد وقته^١، واصطلاحاً - حسب المقرئزي - هو الأخبار عمّا حدث في العالم في الماضي، أو هو ((فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت، أمّا موضوعه فالإنسان والزمان))^٢ وبذلك تكون مهمة التاريخ توقيت الحادثة التاريخية ونقلها بتفاصيلها الدقيقة؛ لأن التاريخ هو التوقيت، أما صور التاريخ فهي متنوعة بين القصص والأساطير والسير والمغازي، وكلّ هذه الصور يسهم الخبر في تشكيلها، أي انه البنية الاساس في انتاجها ضمن المعرفة التاريخية؛ ولذا يقول جواد علي: إنّ العرب لم يطلقوا لفظ «المؤرخ» على من يشتغل في التاريخ، بل يُطلق هذا اللفظ على «الاجباري» لاشتغاله بالأخبار^٣ فالخبر - بوصفه بنية معرفية - جزءاً رئيساً في تشكّل التاريخ، حيث إنّ التاريخ الأول اتخذ شكلاً محددًا في الخبر، وهو الشكل الأصل للتاريخ العربي؛ كما أنّ للتاريخ وصفاً ومهمة وصوراً، فهو يصف الحوادث ويشخصها، ومهمته استنطاق الماضي.

أمّا عن الخطاب، ففي واحد من التعريفات المتداولة لمفهوم الخطاب بأنه اللغة عند الاستعمال، وحسب ما تصوّره دي سوسير بأنه مرادف للكلام^٤، وهذا الاعلان الصريح عن الانتقال من الجماعية الى الفردية، حيث يمكن للفرد أن يمنح اللغة شكلها الاستعمالي عبر تضمينه نمط استعماله وكيفية تلقي الناس المشاركين له في هذا النمط عبر مجالات الحياة الاجتماعية المختلفة، فهناك الخطاب السياسي، والخطاب الطبي، والخطاب الرياضي^٥ وهذا ينسحب على التاريخ عندما يكون

خطاباً يرتبط بمستعمله، ويخرج من دائرة الكتابة التاريخية العامة إلى الكتابة الخاصة في التاريخ، وكيفية بناء خطاب تاريخي ينسجم مع رغبات المؤرخ أو الكاتب في هذا الحقل، أما الوجهة الأخرى التي يمكن من خلالها وصف التاريخ خطاباً فهو العناية بكيفيات تشكّل التاريخ، والعناية بلغته، إذ لا تتفق هذه الدراسة والرأي القائل: إن لغة التاريخ لغة علمية والمؤرخ يخرج من منظومة الأدب ولغته تتعارض مع اللغة الأدبية^٧ بل تؤمن بأن اللغة التي قُدّم بها التاريخ هي نفسها اللغة التي قُدّم بها الأدب والفنون، فيها من المجازات والكنيات ما لا نجده في لغة العلوم المصطنعة والمحمية بالمعادلات والأرقام، وقد اقترح هايدن وايت إعادة التفكير في التاريخ بأنه نوع من الأدب، لكنّ على المؤرخين أو المشتغلين في التاريخ الاستفادة من أساليب التمثيل الأدبي المعاصر، ومثلما يتأرجح المؤرخ بين الماضي والحاضر، فهو يتأرجح كذلك بين الفن والعلم^٨ ويبدو أن هايدن وايت لم يكن مكتفياً بهذا التأرجح والبينية بين الأدب والعلم، بل ذهب إلى صوغ نظرية في الخطاب التاريخي تعتمد على ما قدّمه ليفي شتراوس وياكوبسن ولاكان، والقول - علناً - ببلاغة الخطاب التاريخي في كتابة (Metahistory / ما وراء التاريخ)، إذ يعدّه خطاباً متعدّد المستويات الجمالية، واللغوية، والعلمية، فلا بد من تحليل مجازاته واستعاراته^٩، وهذه النظرية وجدت حضوراً واهتماماً عند بواز شوشان الذي يرى أنّ «البلاغة تلعب دوراً مهماً في سعي المؤرخ إلى تحقيق أهداف معينة، ليس أقلها الاقتناع»^{١٠} شوشان الذي يعتمد الكثير من المقولات المؤمنة ببلاغة النصوص التاريخية وعدم الاكتفاء بالبحث عن واقعيتها، ومنها مقولة جي هكستر ((إنّ البلاغة ليست هي طبقة القشطة التي تغطي كيكة التاريخ، بل هي مخلوطة في عجينة تلك الكيكة))^{١١}.

فالتاريخ ليس وصفاً أو مجالاً معرفياً واحداً، بل مجموعة أحداث انتقل بعضها

من الشفاهي إلى الكتابي، وبعضها الآخر مكتوب ومدون في الاصل، سواء في تاريخ الاسلام أو العصور التي تلتها، نقرأها بوصفها حكايات تعرض لنا الوقائع والأحداث، ونقترب منها لمعرفة مجريات الأمور عبر معاينة سلسلة الإسناد أو فهم الرواية فهما تاريخياً، وفحص ما تقدّمه من توصيف لمرحلة زمنية اداريا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسياً أو جغرافيا، وحيانا تفرز الخطابات التاريخية أبعاداً عقائدية وتوجهات الفرق والمذاهب الاسلامية، لكننا بحاجة إلى فحص هذا الخطاب من داخله أو النظر له بوصفه حدثاً خطابياً على حد تعبير نورمان فيركلف، إذ يحمل هذا الحدث ثلاثة أبعاد هي النص والممارسة الخطابية والممارسة الاجتماعية، فالنص يمثل جزءاً من الممارسات الخطابية من ناحية والممارسات الاجتماعية الأوسع من ناحية أخرى، ويكشف عن أهمية الممارسات الخطابية، بما فيها من عمليات انتاج الخطاب وتوزيعه واستهلاكه^{١٢}. فالدخول إلى الخطاب وتحليله من أصغر عنصر فيه وصولاً إلى حكايته التاريخية يجعلك امام تفاصيل قد تكون غامضة على قارئ التاريخ بشكله المعهود؛ ولذا نفترض القراءة البلاغية أي المعتمدة على تحليل الخطاب*، عبر ضمّ الحدث الخطابي الواحد إلى مجموعة أحداث أخرى لتشكّل بدورها منظومة خطابية تعطينا تصوراً عن الفعل وردّ الفعل وظهور شخصيات فاعلة قد أغفلها أو يغفلها المؤرخون والتاريخيون، لأنها تسربت بين السطور، أو كانت ضمن حكاية مضمّنة تحتاج إلى المعاينة؛ لأنها تكشف ما لم يجد حضوراً، فضلاً عن ((أنّ الخطاب التاريخي يمثل نوعاً من الخطابات البلاغية التي تستهدف الاقناع أو التأثير أو كليهما، وان البعد البلاغي للخطاب التاريخي يتجاوز كونه تجميلاً للغة إلى ان يكون مكوناً بنائياً للخطاب التاريخي، من تصور يرى ان جوهر الخطاب يكمن في الطريقة التي يتشكّل بها))^{١٣} فالوقوف عند بعض الأحداث المهمة في التاريخ يجعلنا في منطقة

التعرّف إلى تفاصيل لغوية وعلامات لفظية وغير لفظية وخطباً ومراسلات تتضمن أفعالاً وأحداثاً خطابية مهمة للغاية، ومن ذلك هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وما يرافق هذا الحدث المهم، حادثة السقيفة والنزاع الشرعي بين النص والاختيار من جهة، والنزاع القبلي بين الانصار والمهاجرين من جهة اخرى، وحركة الردة، وحادثة مقتل عثمان بن عفان كما يرويه الطبري في تاريخه ففيها نصوص / أخبار، تُنقل ضمن خطاب حادثة مقتل عثمان بن عفان، اذ هناك سلسلة من المتواليات الحديثة توافقها سلسلة من المتواليات الخطابية تبدأ بعبد الله بن سبأ، ثم اختفاء عمار بن ياسر بعد أن أرسله عثمان إلى مصر، ثم بروز شخصية معاوية بن أبي سفيان، كذلك حادثة معركة صفين أو معركة الجمل ووجود معسكرين قدّما الكثير من الحجج والمناظرات، فهذا الخطاب التاريخي يسمح بالدخول إلى انتقالاته ومعانيها عبر كتب التاريخ الأخرى.

الاضاءة الثانية

تتأسس هذه الاضاءة على تقديم فرضة أخرى بعد فرضية القول بخطابية التاريخ وامكانيته البلاغية، وفرضيتنا الثانية تقوم على فهم نهج البلاغة خطاب الإمام علي عليه السلام بوصفه خطاباً تاريخياً، فإذا تمكّنا من البرهنة على وصف كتاب (النهج) بانه خطاب تاريخي، فلا شك من وصف العهد بالصفة نفسها (خطاب تاريخي)، فما صفات الخطاب كي يكون تاريخياً ؟ فقلنا في الاضاءة الاولى: إنّ للتاريخ وصفاً ومهمة وصوراً، فهل يتمتع (نهج البلاغة) بما للتاريخ من ميزات أو خصائص؟ وهو مجموعة الروائع العلوية التي قال عنها الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود: ((فقلب معي الصفحات الرائعة الادبية من نهج البلاغة» وقل لي اين ينتهي الاديب ليبدأ الفيلسوف؟ واين ينتهي الفيلسوف ليبدأ الفارس؟ واين ينتهي هذا ليبدأ السياسي؟ إنه لا فواصل ولا فوارق، ففي هذه المختارات خطب ورسائل وأحكام،

وحجاج وشاهد امتزج فيها الادب بالحكمة، والحكمة بالأريحية وهاتان ما نسميه اليوم سياسة يسوس بها الحاكم شعبه، أو يداور بها الحاكم خصمه^{١٤}.

إذا كان التاريخ معرفة بحسب توصيف سقراط له^{١٥}، فلاشك أن المعرفة صورة نهج البلاغة، فهناك خطبة التوحيد هي نظرية في المعرفة، وخطبته عليه السلام في عجيب صنعة الكون وغيرها من الخطب والكلام والكتب، وإذا كانت ثمّة علاقة - كما يرى بول ريكور - بين التاريخ والحياة، واسقاطها على التاريخ بوصفه جزءاً من الحياة^{١٦} فقد كانت حياة الفرد/ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وحياة المجتمع/ المجتمع الاسلامي متغلغلة ومندمجة في خطاب النهج، وإذا كنّا نبحث عن فهم الاحداث التاريخية وتسجيلها واحتضان الوثائق وتشكيل السير والمغازي، ف(نهج البلاغة) يمثل تأريخ أمة وشاهد على تاريخها وتفصيله، ففيه ذكر الحروب، والغزوات، ومراحل الحكم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك بيان الولايات وأمرائها، ومناهج العقائد وطرق التفكير عند العرب آنذاك، فبعد هذا الالتصاق ألا يمكن أن نضمّ (نهج البلاغة) إلى كتب التأريخ؟ قد يقول قائل كتب التاريخ تعتمد الخبر أو السند، وخطاب النهج لا يعتمدهما.

إنّ التاريخ ليس حكاية وسردا فحسب، بل هو التنصت في المدونات والنبش فيها، فإذا كان التاريخ حكاية فلاشك أن الخبر أصغر وحدة حكاية^{١٧} أي أنّه لا يمثل التاريخ كله أو يعطي صورة متكاملة عن التاريخ، فهناك الوثائق والسجلات والتعابير الشفاهية والمكتوبة، ونهج البلاغة هو تاريخ بطريقة الإبداع، أو فرض الانواع الكتابية على التاريخ، لأنّ الخطاب بكل أشكاله الوثائقية والخبرية والسجلات والوصايا والنصوص الشعرية والعهود هو حاملٌ لمحمول تاريخي.

والعودة إلى المدونة التاريخية الاسلامية تجعلنا أمام قاسم مشترك بين المؤرخين

كافة، وهو النظر إلى التاريخ بوصفه حدثاً، لكنهم اختلفوا في اعتماد المؤرخ / الناظر إلى الصورة المخيَّلة في بناء التاريخ فهناك ثلاثة مجالات كما يقول رضوان السيد هي مجال الحدث ومجال الصورة ومجال اللحظة الناظرة^{١٨}، وعلى أساسها نجد صراعاً مفهوماً ينتج ثلاثة تيارات هما: - تيار التاريخيين وتيار المؤرخين، وتيار الوسط بينهما، فالمؤرخ هو المشغل بالحوادث التاريخية وتحليل هذه الحوادث ونقدها، أما التاريخي فهو المنتمي إلى فن التدوين بفعل انشغاله بسرد الاحداث وترتيبها وتصنيفها وتبويبها. وتيار الوسط هو الجامع بينهما، ولم يكن الإمام عليه السلام متممياً إلى هذه التصنيفات، فكل مؤرخ له رغبة الدخول في هذا التقسيم، والإمام علي عليه السلام كان يفكر في الأمة لا بوصفه مؤرخاً - بحسب تصنيف الدارسين - لأنه لم يكن منشغلاً بتحليل الحدث، بل منشغلاً بكشفه وتعريه شخوصه وبيان مهامهم ووظائفهم في صناعة الحدث، ولم يكن تاريخياً، يمتحن التاريخ عبر الانشغال بتدوين الأحداث وترتيبها، بل كان جزءاً من تدوين الحدث وشاهداً على تفاصيله، ليكون راوياً ومؤلفاً وبطلاً له^{١٩}، بل كان يقدم صورة الواقع كما هي، بعيداً عن الاختلافات والاعتماد على السند مصدراً لتوثيق الواقعة، لأنه شاهد - كما قلنا - عليها منتج لها، مثلما هو الصورة العاكسة لتحديات السيرة المحمدية، والثقل الثاني الذي يحفظ لنا تلك السيرة. فمجال الحدث متجسد في خطاب النهج، لان النهج يعبر عن تمثل الاحداث التاريخية والمواقف عبر الحدث الخطابي، أما اللحظة الناظرة، فلا يمكن اغفالها ونحن نتحدث عن مدونة أنتجها من يصفه رسول الله ﷺ بأنه باب مدينة العلم.

موقع عهد الإمام عليؑ إلى مالك الأشتر من التاريخ

يسجّل هذا العهد مرحلة مهمة في تاريخ الإسلام بشكل عام وخلافة الإمام عليؑ بشكل خاص، فلو نظرنا له بوصفه حدثاً خطيباً ينقل لنا أحداثاً تاريخية، فهو يقع بين حادثتين مهمتين في خلافة الإمام عليؑ تسجلان هذه اللحظة التاريخية، حيث سبق هذا العهد بعهد آخر لا يقل أهمية كتبه الإمام إلى واليه على مصر محمد بن أبي بكر سنة ٣٦ للهجرة، ولما كان معاوية يبحث عن ولاية مصر ليكون عمرو بن العاص والياً عليها، أرسل الإمام عليؑ الأشتر ومعه العهد المشهور الذي نحن بصدده، وقد مات الأشتر مسموماً بفعل معاوية قبل وصوله مصر، وثمة كتاب من الإمام إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه أن محمداً متكدر لعزله وتولية الأشتر بدلاً عنه، على الرغم من أن الأخير (الأشتر) توفي قبل الوصول، وقد بين الإمام في ذلك الكتاب أسباب عزل محمد حيث يخاطبه بقوله: ((أما بعد فقد بلغني مؤجّدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، وإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد، ولا ازدياداً في الجهد، إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان لنا رجلاً ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً، فرحمه الله فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه))^{٢٠} فثمة حوادث تاريخية تؤشرها كتب الإمام عليؑ وعهوده إلى ولاته على الأمصار، وهذه المساحة التوثيقية تسمح أن نعدّ نهج البلاغة خطاباً تاريخياً فضلاً عما ذكر فيه من ملاحم، ومعارك، وأحداث تاريخية صريحة، قد سجّلها الإمام عليؑ بأسلوب إبداعي أو ضمن تشكّل الأنواع الأدبية، ولم تُكتب بطريقة المؤرخين، إذ اختار الإمام عليؑ أن يدون اللحظات التاريخية، لكنّه بطريقة التي يحفظ بها ذلك التاريخ ويوثق الحدث التاريخي، وهذا ينعكس على عهد الإمام عليؑ إلى الأشتر بوصفه وثيقة تاريخية، كما يقدّم خطاباً تاريخياً مختلفاً من حيث حضوره موثقاً ومؤرخاً وبطلاً للحدث التاريخي في آن واحد.

الاضاءة الثالثة: توسيع دائرة الدرس البلاغي

هذه الفرضية هي نتاج الفرضية التي سبقتها، من قبول التعاطي مع مباني الدرس البلاغي في قراءة خطاب التاريخ، أو كما يرى هايدن وايت ان الخطاب التاريخي هو خطاب متعدد المستويات ومنها المستوى البلاغي، فنحن امام فرضية المحاولة للخروج بالبلاغة من معاينة خطابات غير مركزية اعتدنا على قراءتها من مثل «القران أو الشعر العربي وكذلك بعض النصوص النثرية» اذ بدأت مرحلة الانتقال بهذا العلم إلى قراءة خطابات مؤثرة في المجتمع أو الحياة اليومية وكما يقول مصطفى ناصف: ((إننا اكثر اهتماما بنظم الخطاب الادبي، ومهما تكن القيمة الفعلية لهذا الخطاب فلا شيء يسوغ اهمال نشاط اللغة في مجالات اخرى متداخلة))^{٢١} اذ بدأت حركة قراءة الخطاب السياسي أو الاعلامي أو الاشهاري، وهي مرحلة - تبدو لنا - اقرب في الانتقال من دائرة الذاكرة الجمالية التي اعتدنا على مراعاتها بفحص نصوصها، إلى الحاجة المجتمعية أو الاستعمال الثقافي، فثمة طقوس، وعبادات، وشعائر، ورموز، وخطابات جماهيرية تستحق المعاينة البلاغية تحت مسمى (تحليل الخطاب) وكأنه الوجه الجديد لتوسيع دائرة الفهم البلاغي أو علم البلاغة؛ والخلاص به من نسقيّة وسلطوية السكاكي وشرّاح مشروعه وملخصيه^{٢٢} فجاءت هذه الدراسة لتختار الخطاب التاريخي بوصفه خطاباً يحاصر الأمة ويمثّل إرثاً مهماً في ذخيرتها، وهو كان وما يزال قريباً من الحياة اليومية للمواطن العربي؛ ولذا فعملية الاكتفاء بقراءة المؤرخ أو المشتغل بحقل التاريخ قد تترك الكثير الذي بالإمكان معاينته عبر تحليل الخطاب بلاغياً؛ وهذا ما تشغل به هذه الدراسة.

عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر (مقترح قراءة)

لم تكن هذه الدراسة تختار لنفسها أن تكون فاحصة لنص الوثيقة لفهم الحقائق أو القول بصدقها، بل التركيز كله ينصبُّ على النص الذي تغذيه تلك الوقائع، وسنعمل على فهم بلاغة الوثيقة التاريخية ضمن دائرة المنظومة الخطابية التي يقدمها فاعلٌ خطابيٌّ واحدٌ داخل الواقعة اللسانية هو الإمام علي عليه السلام إلى متلقي خطابي متعدّد «محمد بن أبي بكر، مالك الأشتر، أهل مصر» أمّا إذا نظرنا إلى الخطاب من حيث علاقته بالحادثة التاريخية/ الخطابية فإن الفاعل هو مختلف المشاركين القائمين بعمل سواء كان إيجابياً أم سلبياً^{٢٣}، أي: أنّ الفاعل « كل من يمارس دوراً في عملية إنتاج الخطاب والقائه وتداوله والتأثر به»^{٢٤} أي سنكون مع مجموعة مع الفواعل الخطابية «الإمام علي عليه السلام، محمد بن أبي بكر، مالك الأشتر، وأهل مصر، وكذلك معاوية وعمرو بن العاص» وكذلك مع دائرة الخطابات المتجاوزة زمنياً أي محاولة ربط الخطابات «الموثيق والعهود والكتب والمراسلات

«المنتجة في مرحلة زمنية واحدة في دائرة خطابية واحدة وهي بالشكل الآتي: -

١. عهد الإمام علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر.
٢. كتاب الإمام علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر، لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر.
٣. كتاب الإمام علي عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر.
٤. عهد الإمام علي عليه السلام للأشتر لما ولاه على مصر وأعمالها.

فهذه أربعة خطابات تعطينا تصوراً عن عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر ضمن منظومة خطابية، وتعدّدها يكشف حركة التاريخ، أو الفعل داخل الحدث التاريخي. فثمة علاقة لا يمكن تجاوزها بين الحدث الخطابي والمواقف أو المؤسسات والهياكل الاجتماعية التي تُعدُّ إطاراً له^{٢٥} ونحن أمام أربعة مواقف تاريخية يشكّلها الخطاب،

وانتظمت لتكون منظومة مواقف تشكلها منظومة خطابية، وبهذا فلا بد من تسمية الفواعل الخطابية وتحديد سلطتها، والظروف الطارئة عليها التي تسهم في إنتاج هذه المنظومة الخطابية، ومن ثم تفاعل هذه التحديدات في إنتاج عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر؛ لأن التفاعل يظهر وجود قاعدة إنتاج واستهلاك للخطاب مما يعني بلاغته. فهو حدث تاريخي يشكّله حدث خطابي، وقراءته ضمن منظومة أحداث خطابية، يكشف عن تحولات المواقف التاريخية وتشكّلها.

العهد بين المتكلم التاريخي والمتكلم الخطابي

كُتِبَ خطاب العهد سنة ٣٧ هـ، وأُنْتِجَ ضمن سياقات معينة، تختلف طبيعته التاريخية بأنّه له مرسلا ومتقبلاً، أي: لم يكن الانشاء - تاريخياً - مجهولاً أو مرتبطاً بسارد أو مؤلف مجهول، بل هو مرتبط بمؤلف معلوم تاريخياً هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومتقبل معلوم ومحدد هو (مالك الأشتر النخعي) وله سياقات معينة تفرض وجود حركة معارضة يقودها معاوية بن ابي سفيان، وعينه ترنو للسيطرة على مصر والرغبة في أن يكون عمرو بن العاص والياً عليها، حيث كان محمد بن ابي بكر هو عامل الإمام علي عليه السلام عليها، وقد تحققت المطالبة ((فأجابه اناس كثيرون آخرون، وفسدت مصر على محمد بن ابي بكر، فبلغ علياً توثبهم فقال، ما لمصر الا احد الرجلين، صاحبنا الذي عزلناه عنها بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحارث الأشتر))^{٢٦}؛ فالتكلم التاريخي - هنا - هو متكلم خارج نصّي، يتفاعل مع السياقات الخارجية، وقد ينقل هذا التفاعل إلى واقعة لسانية؛ يجسّد من خلالها حضوره النصي عبر الانتقال إلى دور المتكلم الخطابي. وهنا يبدأ سؤال مفترض، أكان الإمام علي عليه السلام مؤرخاً أم جزءاً من منظومة خطاب التاريخ؟ اذا كان همّ المؤرخ أن ينقل الوقائع الى القارئ، فيبدو أنّ هذا الامر ينطبق تماماً على نص

النهج بأحداثه التاريخية ومن ضمنها الوثائق والعهود، إذ لم يكن هذا العهد أو غيره من الكتابات في النهج هو من أجل خلق حالة فنية لغرض التسلية وبيان القدرة الابداعية أو الكلامية أو المعرفية في الكتابة مثلما نجد ذلك في النصوص الثرية عند الجاحظ أو التوحيدي أو عبد الحميد الكاتب، بل هو ينقل معلومة تاريخية ويسجلها عبر شكل كتابي مختلف عن الطريقة الخبرية المعتادة في بناء خطاب التاريخ، فضلاً عن أن المؤرخ - مجازاً، (ناقل الاحداث/ الإمام علي عليه السلام) هو جزء رئيس في الحدث التاريخي، بمعنى انه يمارس دورين، الدور الاول تصميم الشكل الفني للحدث التاريخي، والثاني الاسهام بوصفه الشخصية الرئيسة في بناء الحدث، وهنا سنجد انفسنا امام مصطلح جديد هو المتكلم الخطابي.

والمراد منه هو من يسهم في تثبيت الحدث التاريخي ويجسد مواقف المتكلم التاريخي من الاحداث والمتلقين، ثم إن هذا المتكلم / الخطابي يختلف عن الفاعل الخطابي الذي مرّ ذكره، حيث ان المتكلم الخطابي واحد لكنّ الفاعل الخطابي قد يكون متعددًا ليشمل المعنيين والقائمين على الخطاب سلباً أو ايجاباً. فالمتكلم الخطابي -هنا- هو متكلم نصي يمارس الحضور اللغوي أو البلاغي، عبر صيغ إنشائية أو خبرية واستشهادات وعمليات من التفسير الخطابي تمنح الخطاب قوته وسلطته البلاغية. فقد بدأ الإمام عليه السلام عهده إلى مالك الأشر بأسلوب التجريد «هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام مالك بن الأشر في عهده اليه حين ولاه مصر» وقوله: ((أمره بتقوى الله وايثار طاعته)) «وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات»^{٢٧} وهذه معالجة لقضية ترتبط بالطاعة لله وليست دنيوية وهذا ما اعتدنا عليه في خطابات الإمام عليه السلام حينما يقف عند هكذا قضايا حيث يقول في حديثه مع العباس وابي سفيان عندما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله: «والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»^{٢٨}.

ثم يلتفت بالخطاب الديني مع الأشتر، ليظهر المتكلم الخطابى ((ثم اعلم يا مالك أيّ قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور))^{٢٩} فالخطاب السياسي المتضمن في الخطاب التاريخي يسمح بظهور ذاتية المتلفظ، فمرة مع الفعل (اعلم) وهو فعل الامر الذي يستوجب ظاهرية المخاطب/ انت (مالك) وضمنية الفاعل/ المرسل/ الإمام علي عليه السلام، وهو فعل ينقل المخاطب من عدم المعرفة إلى التلقين، وبعد هذه الجملة الانشائية الأمرية؛ تأتي جملة الخبر الطلبية (أيّ قد وجهتك) فثمة ضرورات سياسية تقتضي مثل هذا الحضور، وهو بالأسلوب نفسه الذي وجه به الإمام خطابه إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر ((واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي أهل مصر))^{٣٠} وهناك فارق بين (التوجيه، والتولية) فالتوجيه بمعنى جعل الشيء على جهة، أو أقبل بوجهه على الاخر^{٣١} أي أنّ ثمة أمراً يدفعه إلى التوجيه، وخطابه عليه السلام يكشف تحديد الجهة التي يريد لها وهي (بلاد قد جرت عليها دول قبلك)، حيث كان هذا التوجيه مسبقاً بدروس تربوية تمثل ادارة الدولة أي كأنها مقدمة لما يريد الإمام عليه السلام طرحه في التوجيه إلى البلاد التي درات عليها الاحوال والغلبة، أمّا التولية، فهي نتاج مرحلة لم تمثل للسياسات التي امثل لها خطاب الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر.

ويبدو أن هيمنة الخطاب السياسي الذي يشكل ثيمة مهمة في خطاب الإمام عليه السلام التاريخي جعل كتابه إلى محمد بن ابي بكر حين عزله وعين الأشتر يتّصف بهيمنة ذاتية المتكلم الخطابى ((فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك، واني لم افعل ذلك، ولو نزعْتُ ما تحت يدك، لو ليّتك ما هو أيسر، إنّ الرجل الذي كنتُ قد وليته على امر مصر)) فطغيان التعبير الذاتي عبر ضمائر المتكلم هي من ضرورات انتاج خطاب سلطة يحتمي بذاتية المتكلم وتحقيق الاندماج بين المتكلم التاريخي والمتكلم

الخطابي/ النصي، ويفرض وظيفة الإقناع التي تستوجب وجود مرسل مشخص قادر على إقناع الآخر المرسل اليه الذي تأثر أو يذعن للخطاب. وكذلك في كتابه إلى أهل مصر؛ لما ولى عليهم الأشتر يخاطبهم بذاتيته الاندماجية بين التاريخية والخطابية: ((أما بعد، فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، فإنه لا يقدم، ولا يقدم الا عن أمري، وقد آثرْتُكم به على نفسي))^{٣٢} هذا الخطاب فيه بروز صورتين، الأولى ما تعيننا في هذا المحور وهي حضور (ذات المتكلم) والثانية هي صورة الأشتر عبر تراكيب كناية يرسمها الإمام عليه السلام عنه فيصفه بأنه (لا ينام أيام الخوف) كناية عن ترقبه للحرب وهمته العالية، والبقاء منشغل التفكير طوال الليل بتدبير أمور المعركة ومستلزماتها، حيث الليل منطقة سكون البدن، وانشغال الذهن للمحاربين فيها سيأتي، والكناية الثانية هي مستلزمة للكناية الأولى إذ يصف مرحلة ما بعد التخطيط والتدبير والدخول في المعركة، فالأشتر في وصف الإمام عليه السلام شديد البأس، لا ينكص أو يجبن ساعة المعركة. وهذا إسقاط التاريخي على الخطابي.

انشاء الهوية بين الإمام عليه السلام والأشتر

يملك الخطاب- بوصفه مكوناً اجتماعياً- القدرة على تشكيل الهويات والمواقف بين الافراد والجماعات^{٣٣} كما تتباين الأساليب التي تعبر عن هوية الفرد أو الاندماج مع الجماعة، فخطاب الإمام عليه السلام إلى الأشتر يبدأ بهوية الفرد/ الحاكم الملقب (أمير المؤمنين) «هذا ما امر به عبد الله عليُّ أمير المؤمنين عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر، في عهده اليه حين ولّاه مصرَ: جباة خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح اهلها، وعمارة بلادها» فالرسلة الخطابية تعلن في الاستهلال هوية المرسل الصريحة باللقب (عليُّ أمير المؤمنين عليه السلام) والمرسل اليه (مالك بن الحارث الأشتر) وقناة

الارسال (في عهده اليه) كذلك المناسبة/ السياق (حين ولّاه امر مصر).
ثم تبدأ الأوامر والنواهي، بحضور المرسل اليه هوية مضمّنة داخل الخطاب،
وغياب هوية المتكلم، على الرغم من أن التراكيب الأمرية تتشكّل عبر الأمر والناهي
وموجّه إلى مخاطب مأمور ومنهي، مع تعدّد في الدلالات، وتكتسب في عهد الإمام
عليه السلام دلالات حجاجية، حين يكون أصل الدلالة في الخطاب حجّته، اي إثبات
الحق بوصفه هوية المتكلم. يخاطب الإمام عليه السلام الأشتر ((أشعر قلبك الرحمة للرعية،
، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا)) هذه الأقوال هي مقدمات ومزودة بعلاقة تراتبية
لتشكّل سلماً حجاجيا لنتيجة تشكّل خطاب موقف الفرد/ السلطة، من الجماعة/
المحكوم ((فإنهم صنفان إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخلق))^{٣٤} فهذا
مؤشّر على علاقة الفرد بالتعدد المجتمعي وبناء دولة تؤمن بتعدد الهوية الفرعية.
ويعطينا تصوّراً عن فهم الإمام لمعطيات القرآن، حيث إن الاخ من المشاركة في
الولادة والقوم والدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وفهم الإمام عليه السلام للدور
الرسالي، فقد شرّع النبي الأكرم ﷺ نظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ممن قَبَل
بالدين المحمدي. أمّا الشق الاخر فهو النظر وهو الشبيه الذي يمتلك منظومة
إخلاقية في دينه، مشابهة لمنظومة الاسلام في الاخلاق.

وتبرز هوية الإمام عليه السلام بصيغة المتكلم الجمع حين تحدّث عن طبقات المجتمع
وحقوقها، وكيفية تشريعها والمحافظة على هذه الحقوق ((وكلا قد سمى الله سهمه،
ووضع على حدّه فريضته في كتابه، أو سنّة نبيه ﷺ، عهدا منه عندنا محفوظاً))^{٣٥}
فهو انتقالٌ من سياق الحاضر/ الحاكمة التي فيها الإمام عليه السلام وما يناسبها من ضمير
المتكلم (انا) إلى سياق الاستمرار/ الولاية التي تبدأ بالإمام عليه السلام (نحن). لكنّ
حضور هوية الفرد/ الإمام عليه السلام تتمظهر عند استحضر الحديث النبوي الشريف)

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول في غير موطن) كما تبرز هذه الهوية عند مراحل انتهاء فترات العهد ((وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدتُ اليك في عهدي هذا واستوثقتُ من الحجّة لنفسي عليك))^{٣٦} ليمنحنا النتيجة عبر أقوال/ حجج في إعلان النتيجة التي يبحث عنها الإمام (عليه السلام) في خطاب تاريخي وظيفته النصيح والارشاد اي الوظيفة التأديبية (لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها) ثم يعلن هوية الاندماج والمشاركة في العمل الصالح والتوفيق مع مالك الأشر (وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفّقني وإياك، ، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، وإنا اليه راغبون)).

أمّا في كتابه إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله، فإنّ خطابه الذي يسجّل مرحلة تاريخية مهمة في عهد حكومة الإمام (عليه السلام) يغلب عليه الإعلان عن هوية الإمام وبصيغة المتكلم ((فقد بلغني موجدتك، ، واني لم أفعل ذلك استبطاءً، ، ولو نزعْتُ ما تحت يدك من سلطانك، لوليتُك ما هو أيسر عليك، ، إن الرجل الذي وليتُه أمر مصر)) ثم يذهب إلى هوية الاندماج والاشتراك مع محمد بن أبي بكر ((كان لنا رجلا ناصحا، وعلى عدونا شديدا ناقما)) اذ لم يقل (هو لي رجل، وعلى عدوي شديد) اذ يعتمد الإمام (عليه السلام) إلى إنشاء هوية الاندماج مع ولاته عبر خطاب تاريخي وظيفته الاقناع، ثم يسجل في هذا الكتاب لحظة تاريخية تمثّل مرحلة استشهاد الأشر (فرحمه الله فلقد استكمل ايامه، ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون)) فالخاتمة متماثلة مع خاتمة الإمام (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشر في الاندماج حين قال (وإنا اليه راغبون).

المنظومة الخطابية من الاخبارية إلى الانشائية

إن مجمل الكتب أو الوثائق أو العهود المدرجة فيما اقترحناه (منظومة خطابية) تتوزع بين الاخبار والإنشاء على وفق السياقات التي أنتجت فيها، ففي عهد الإمام عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده ولاية مصر يبدأ بجمل إنشائية / أمرية ((اخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة))^{٣٧} وهذه الجمل مبنية بناء استعاريا مكنيا تؤدي من خلاله وظيفة النصح والإرشاد، وتمثل حججا متدرجة تخدم نتيجة واحدة مذكورة في خطاب الإمام وتؤدي اليها، فهي تسيير في اتجاه واحد لا باتجاه التعارض الحجاجي الذي ينشط مع « لكن »^{٣٨}، ثم يأتي برابط حجاجي (حتى) فيقول: (حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم) وهو ربط للحجة القوية أو التي ينتهي بها السلم الحجاجي، لينتهي بالحجة الظاهرة ((فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده - عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة))^{٣٩} وعندما ينتقل الكلام إلى الخبرية يبقى يدور في الدائرة نفسها النصح والإرشاد المؤدي إلى الحجاج.

وهذا العهد لا يختلف عن عهد الإمام عليه السلام إلى الأشتر الذي يبدأ بفعل التواصل والمشاركة في بناء الحدث التاريخي (ثم اعلم يا مالك) فالأمر لا يستهدف الإلزام الأمري، بقدر استهداف تنبيه المتلقي ((أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم)) خضع خطاب الإمام عليه السلام إلى فرض التجربة التاريخية على مالك، عبر اعطاء تصوّر عن البلاد الموفد اليها. ثم تبدأ مجموعة من الأقوال الانشائية، التي تخدم الوظيفة الإقناعية لا الخبرية أو الأمرية، كما ان ثمة التفاتة إلى وضعية الجماهير في الحدث السياسي، اذ يكتب الإمام عليه السلام إلى الأشتر: ((فإن سخط العامة يححف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يُغتفر مع رضى العامة))^{٤٠}

فالعامه هم الجماهير القادرة على فعل التضحية ((تشبه إلى حدّ ما حالة النائم الذي يتعطلّ عقله مؤقتاً ويترك نفسه عرضة لانبثاق صورة قوية ومكثفة جدا، ولما كانت الجماهير غير قادر على التفكير ولا على المحاكمة العقلية فانها لا تعرف معنى المستحيل أو المستبعد الحدوث))^{٤١} فهناك معادلة يطرحها الإمام (عليه السلام) تمثّل واقعا سياسيا واجتماعيا يفرض مثل هكذا خطاب، هذه المعادلة بين الخاصة والعامه، اي بين (النخبة والجمهور) وبين حالتي (المغفرة والسخط) ليتتهي إلى نتيجة محدّدة الإمكانيات الحجاجية ومقيّدة بالحصص العامل الحجاجي ((انما عماد الدين، وجماع المسلمين والعدّة من الاعداء العامة من الامة)) وعلى وفق هذه النتيجة تبدأ مشورة الإمام الأمرية ((فليكن صفوك لهم وميلك معهم)).

أمّا في خطاب الإمام (عليه السلام) إلى أهل مصر وعبر هذا التسلسل التاريخي للمنظومة الخطابية، نجد كتاب الإمام يبدأ بجمل خبرية بعضها تؤدي وظيفة الوصف عن أهل مصر ((إلى القوم الذين غضبوا الله حين عُصي)) ثم جمل خبرية في وصف واليه الجديد (مالك الأشتر) ((أمّا بعد: فقد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروح، أشد على الفجار من حريق النار، وهو (مالك بن الحارث) أخو مذحج)) وهذه الجمل تشتغل على وفق تسلسل منطقي للحدث والتمهيد للانتقال إلى الأقوال الإنشائية ((فاسمعوا له، وأطيعوا أمره في ما طابق الحق، فإنّه سيف من سيوف الله، ، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا))^{٤٢} لماذا هذه الطاعة التي يفرضها الإمام على أهل مصر؟ لان الإمام (عليه السلام) يبيّننا عن مالك الأشتر بأنّه (لا يقدم الا عن امري).

أمّا عن خطاب الإمام (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين عزله، فالجملة الخبرية لا تستهدف الإخبار، بل تستهدف تحقيق وظيفة التسويغ أو الإقناع بقبول العزل « فإني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد، ولا ازديادا لك في الجدل» ثم ينتقل بعد انتهاء هذه

الوظيفة إلى ملاحظة السياق الجديد الذي على محمد بن أبي بكر أن يتخذه عبر جمل إنشائية بين الفعل الديوي والفعل الاخروي ((فاصحر لعدوك، وامض على بصيرتك، وشمّر لحرب من حاربك، وادع إلى سبيل ربك، واكثر الاستعانة بالله يكفيك ما أهمك))^{٤٣}.

العهد بين خطاب النهج وكتب التاريخ

لا يمكن ان نقرأ الحدث التاريخي في خطاب العهد إن لم تكن المنظومة الخطابية حاضرة*، وهي المسؤولة عن إعطاء تصور وافٍ عن التسلسل الزمني لبناء الاحداث، فهناك كتابٌ موجّه الى محمد بن أبي بكر سنة ٣٦ هـ وآخر موجّه اليه بعد مقتل الاشر سنة ٣٨ هـ، وكتاب العهد أواخر سنة ٣٧ هـ وبينهما كتاب موجّه الى أهل مصر عندما أرسل اليهم الاشر سنة ٣٧ هـ. فهناك أحداث تعبر عنها كتب الإمام عليه السلام في خطاب النهج، واحداث قد تختلف معها في مدونات التاريخ مثل الطبري والمسعودي، وبسبب غياب تراتبية الكتب والعهود في مدونة الطبري نجد خلخلة في البنية الزمنية للحدث، اذ يقول الطبري: ((فكتب قيس** الى علي: إن كنت تهمني فاعزلني عن عملك، وابعث اليه غيري، فبعث علي الاشر أميراً الى مصر، حتى اذا صار بالقلزم شرب شربة العسل كان فيها حتفه، فلما بلغ علياً وفاة الاشر بالقلزم بعث محمد بن ابي بكر أميراً على مصر))^{٤٤} فهناك أربعة أحداث في هذا المقطع التاريخي المنقول من تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) وهي بالشكل الآتي وحسب تسلسلها الزمني الوارد في التاريخ.

الحدث الأول: طلب قيس بن سعد عزله عن إمارة مصر.

الحدث الثاني: إرسال مالك الأشتر أميراً الى مصر.

الحدث الثالث: وفاة الأشتر بالقلزم مسموماً بالعسل.

الحدث الرابع: إرسال محمد بن أبي بكر أميراً على مصر.

فلو عرضت هذه الاحداث على نهج البلاغة، فكيف سيقدمها النهج تاريخياً؟ يبدو أن الكتب والعهود في النهج تعمل على خلق صورة زمنية سردية يمكن من خلالها كشف (بنية تراتب) تلك البنية التي تختلف عن البنية التاريخية التي يقدمها الطبري، وتتفق مع المسعودي وهو يرسم صورة الاشر مقاتلاً في حرب صيفين سنة ٣٧هـ أي لم يكن أميراً على مصر كما ذكر الطبري. وكذلك قيس بن سعد بن عبادة وهو يقود الانصار وربيعة في الحرب نفسها، وهذا يدل على أن محمد بن أبي بكر كان هو الوالي على مصر، وقد قُتل فيها سنة ٣٨ للهجرة.^{٤٥} ثم يذكر المسعودي ((وولّى عليّ الاشرَ مصرَ وانفذه إليها في جيش، فلما بلغ ذلك معاوية دسَّ الى دهقان كان بالعريش، فأرغبه، وقال: اترك خراجك عشرين سنة، واحتل للاشر بالسم في طعامه، ، فما استقرت في جوفه حتى تلف))^{٤٦} كما أن دليل المخالفة والاتفاق التاريخيين بين الطبري والمسعودي من جهة ونهج البلاغة من جهة أخرى قولُ الامام عليه السلام في مخاطبة محمد بن ابي بكر: ((أما بعد: فقد بلغني من تسريح الاشر الى عمك، واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد))^{٤٧}.

وقد يعطيك كلام الامام عليه السلام في ضوء المنظومة الخطابية تصورات تاريخية قد تغفل عنها كتب التاريخ، من ذلك كلامه عليه السلام بعد مقتل محمد بن ابي بكر يقول: ((وقد أردت تولية هاشم بن عتبة، ولو وليته لما خلى لهم العرصه، ولا انزهم الفرصة، بلا ذم لمحمد بن ابي بكر، ولقد كان الي حبيباً))^{٤٨} كلام الإمام عليه السلام فيه تحسّر لأمرين، أحدهما يكشف لك قضية تاريخية مضمرة لم تعبّر عنها كتب التاريخ المعروفة وهي رغبة الإمام عليه السلام في منح ولاية مصر لهاشم بن عتبة بن ابي وقاص الذي استشهد في معركة صيفين، الامر الآخر تحسّره على فقد محمد بن أبي بكر، ولم يشر كلام الإمام عليه السلام الى مالك الاشر، وهذا دليلٌ آخر على مقتل الاشر قبل مقتل ابن أبي بكر.

قراءة ختامية

• البرهنة على قراءة الخطاب التاريخي قراءة بلاغية يتطلب منا تعديل المواقف والرؤى والمبنيات تجاه التاريخ أولاً، وتجاه البلاغة ثانياً، فمع التاريخ نفترض التحوّل من سردية التاريخ والبحث عن واقعية أحداثه، الى خطابيته وتسلسله النسقي، ومن ثمّ تحليل تقنيات التاريخ بوصفه خطاباً. أمّا مع البلاغة، فقد كشفت رحلة هذه الدراسة عن ضرورة انفتاح الدرس البلاغي العربي والخروج من نسقية السكاكي وتقسيمه الثلاثي، والايان بضرورة تحرير المفهوم والاداة والوظيفة، والانتقال بالدرس البلاغي من التقسيمات الجاهزة الى ما يفرضه الخطاب المدرس، فالخطاب التاريخي له من الخصائص والميزات ما يجعلنا نبحث له عن أدوات إجرائية قد تكون مختلفة عمّا نحلّله - من خلالها- من خطابات سياسية أو اجتماعية أو دينية، فلكل خطاب ميزات تفرض دراسته أدوات إجرائية مختلفة عن غيرها، فضلاً عن ضرورة استحداث مفاهيم بلاغية تتناسب مع طبيعة الخطابات المدرسة، حتى وإن كان على سبيل التبيئة أي نقلها من بيئة معرفية الى بيئة معرفية أخرى، أو توسيع اشتغال المصطلح من المفردة والجمله الى الخطاب، إذ لم تعد بعض المصطلحات قادرة على المساهمة في تحليل أحد الخطابات، ولذا لا بد من اقتراح حزمة اصطلاحية جديدة تسهم في ذلك التحليل مثل اقتراح مصطلح الفاعل الخطابي ليكون ((مساهماً في انجاز العملية البلاغية وهو شكل من اشكال توسيع دائرة الاهتمام بالمتكلم التي أخذت مساحة جيدة في البلاغة العربية، حيث تُقرأ مسؤولية الخطاب والظاهرة البلاغية بصورة أكثر تفاعلاً))⁴⁹.

• الايمان بضرورة إخراج دراسة النصوص التي تشكّل خطاباً متكاملًا من دائرة

النص المغلق على فرديته الى قراءته في ظل المنظومة الخطابية، لما يعطي هذا النص من حركة خطابية متكاملة، فضلاً عن المساهمة في البرهنة على ربط الاحداث وتشكيلها تاريخياً.

• يبدو أن خطاب النهج تفوق تاريخياً - من حيث صياغة العبارة التاريخية وكذلك توثيق الحدث التاريخي - على خطاب الطبري والمسعودي، لأن الإمام عليه السلام هو جزء من ذلك الحدث وليس ناقلاً أو راوياً له، وهذا يفترض المقارنات المثمرة التي تعطي اضاءة سواءً من نصوص النهج او من النصوص التاريخية المعروفة بصفتها التاريخية.

هوامش البحث:

- (١) ينظر: المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس واخرون: ١٣
- (٢) ينظر: الخطاب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، علي أواميل: ١٣
- (٣) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي: ج ١ / ١١٥
- (٤) علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح احمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسني: ٢٦
- (٥) initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Maingueneau.p: 11
- (٦) discourse analysis as theory and method. Marianne Jorjensen & Louis J. 6 Phillips: p: 1
- (٧) ينظر: بلاغة الخطاب التاريخي « اعمال مهدة للدكتور حميد لحداني، اعداد وتنسيق محمد مشبال: ٨
- (٨) article. H .White. p: 1 the burden of history
- (٩) Entre la nouvelle histoire et le nouveau roman historique. Marta Cichocka. P: 80 9-
- (١٠) شعرية التاريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري، بواز شوشان، ترجمة حيدر الكعبي: ١٧
- (١١) شعرية التاريخ الاسلامي: ٢٨
- (١٢) ينظر: الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني: ٩٥-٩٨
- * هناك مجموعة دراسات بلاغية وسردية وتوثيقية ودراسات مترجمة في كتاب جماعي يعدُّ الاهم في الدراسات البلاغية العربية هو بلاغة الخطاب التاريخي اعمال مهدة الى حميد لحداني، اعداد وتنسيق محمد مشبال صدر عام ٢٠١٨.
- (١٣) التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات، عماد عبد اللطيف، موجز ضمن Jacqmond.r.(2006) Ecrire l'histoire de son temps (Europe et monde arabe): 299
- (١٤) مصادر نهج البلاغة واسانيده، عبد الزهراء الحسيني، ج ٣: ٤٩٤
- (١٥) ينظر المعجم الفلسفي، جميل صليبيبا: ج ١ / ٢٨٨
- (١٦) ينظر نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور، جنان بلخن، رسالة ماجستير: ٤٢
- (١٧) ينظر: الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين: ١٩٥

- (١٨) ينظر: الوعي التاريخي والكتابة التاريخية، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع٢٧: ٩
- (١٩) التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات: ٣٠١
- (٢٠) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣٦٦
- (٢١) التفسير واللغة والتواصل، مصطفى ناصف: ٢٨٥
- (٢٢) ينظر تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة الى تحليل الخطاب، صلاح حسن حاوي، بحث منشور في مجلة لارك- جامعة واسط، ع٣٢، ت٢-٢٠١٨: ٢٧٠.
- (٢٣) ينظر: معجم تحليل الخطاب، باتريك شاركو ودومينيك دومنغو، ترجمة عبد القادر المهيري وهادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف: ١٩
- (٢٤) اطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب: ١٩٨.
- (٢٥) ينظر: مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة حسام احمد فتوح وعزة شبل محمد، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف: ٢٦
- (٢٦) الغارات أو الاستنغار والغارات، ابن هلال الثقفي، حققه وعلق عليه عبد الزهراء الحسيني: ١٦٤
- (٢٧) نهج البلاغة: ٣٨٤
- (٢٨) المصدر نفسه: ٣٨
- (٢٩) المصدر نفسه: ٣٨٤
- (٣٠) المصدر نفسه: ٣٦٤
- (٣١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: م٦/ ٨٩
- (٣٢) نهج البلاغة: ٣٦٩
- (٣٣) ينظر: مناهج التحليل النقدي للخطاب: ٢٦
- (٣٤) نهج البلاغة: ٤٠١
- (٣٥) المصدر نفسه: ٣٤٤-٣٤٥
- (٣٦) المصدر نفسه: ٣٨٤
- (٣٧) نهج البلاغة: ٣٤٤-٣٤٥.
- (٣٨) ينظر: الخطاب والحجاج، ابو بكر العزاوي: ٢١
- (٣٩) نهج البلاغة: ٣٤٥.
- (٤٠) سايكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون: ٨٦
- (٤١) نهج البلاغة: ٣٦٦

(٤٢) المصدر نفسه: ٣٦٩.

(٤٣) نهج البلاغة: ٣٦٦

* تحدثنا فيما سبق عن المنظومة الخطابية بوصفها مجموعة الكتب والعهود الموجهة من الامام علي عليه السلام الى عماله واهل مصر في المرحلة الزمنية بين تولي محمد بن ابي بكر الى حين ارسال مالك الاشر لغرض مسك زمام الامارة على مصر.

* - قيس بن سعد بن عبادة أحد أصحاب الإمام علي وقد تولى في زمن خلافته حكم مصر سنة ٣٦ هـ، لكن الامام عزله .

(٤٤) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري: ج ٤ / ٥٥٣

(٤٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ج ٢ / ٣١٧

(٤٦) المصدر نفسه: ج ٢ / ٣١٨

(٤٧) نهج البلاغة: ٣٦٦

(٤٨) المصدر نفسه: ٩٣

(٤٩) تحرير مفهوم البلاغة من الذاكرة الى تحليل الخطاب: ٢٧٩

قائمة المصادر والمراجع:

- مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط ١- ٢٠١٠.
- ✳ اطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب، ع ١٤٤، ٢٠١٣
- ✳ سايكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، دار الساقى، بيروت - لندن، ط ٣- ٢٠١١
- ✳ بلاغة الخطاب التاريخي " اعمال مهدة للدكتور حميد لحمداني، اعداد وتنسيق محمد مشبال، دار كنوز المعرفة- الاردن، ط ١- ٢٠١٨.
- ✳ شعرية التاريخ الاسلامي تفكيك تاريخ الطبري، بواز شوشان، نقله الى العربية حيدر الكعبي، منشورات الجمل، ط ١- ٢٠١٦.
- ✳ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية - دار المعارف- بمصر، د-ت.
- ✳ علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح احمد العلي، مراجعة محمد توفيق حسني، بغداد - مكتبة المثنى. ١٩٦٣.
- ✳ التاريخ عبر الاستعارة مصر قبل الثورة في خطب السادات، عماد عبد اللطيف، موجز ضمن Jacqmond.r.(2006) Ecrire l'histoire de son temps (Europe et monde arabe)
- ✳ الغارات أو الاستنفار والغارات، ابن هلال الثقفي، حققه وعلق عليه عبد الزهراء الحسيني، دار الاضواء بيروت - لبنان، ط ١- ١٩٨٧.
- ✳ الكلام والخبر مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧
- ✳ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، أعتنى به وراجعته كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١- ٢٠٠٥.
- ✳ الخطاب، صلاح حسن حاوي، بحث منشور في مجلة لارك- جامعة واسط، ع ٣٢، ت ٢- ٢٠١٨.
- ✳ مصادر نهج البلاغة واسانيده، عبد الزهراء الحسيني، دار الاضواء، بيروت- لبنان، ط ٣- ١٩٨٥.
- ✳ التفسير واللغة والتواصل، مصطفى ناصف، عالم المعرفة- ١٩٩٥.
- ✳ الخطب التاريخي دراسة لمنهجية ابن خلدون، علي أولمليل، بيروت معهد الانماء العربي، د-ت
- ✳ معجم تحليل الخطاب، باتريك شاردو ودومينييك دومنغو، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار كريستال سيناترا، تونس ٢٠٠٨
- ✳ الخطب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط ١- ٢٠١٧.
- ✳ المعجم الفلسفي، جميل صليبي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت - لبنان، ١٩٩٤.
- ✳ الخطب والحجاج، ابو بكر الغزاوي،

المصادر الأجنبية

- ✦ discourse analysis as theory and method. Marianne Jorjensen & Louise J. Phillips. Sage Publications. London. 2002
- ✦ Entre la nouvelle histoire et le nouveau roman historique. Marta Cichocka. L'Harmattan 2007
- ✦ initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Dominique Maingueneau. 1991.
- ✦ the burden of history. Hayden.v. White. Wesleyan University. 2014

- ✦ معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ايران - قم، د- ت.
- ✦ المعجم الوسيط، ابراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤- ٢٠٠٤.
- ✦ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، جامعة بغداد، ط ٢- ١٩٩٣.
- ✦ مناهج التحليل النقدي للخطاب، تحرير روث فوداك وميشيل ماير، ترجمة حسام احمد فتوح وعزة شبل محمد، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط ١- ٢٠١٤.
- ✦ نظرية السرد التاريخي عند بول ريكور، جنان بلخن، رسالة ماجستير، جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر، ٢٠١٠.
- ✦ نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ذو الجناحين- النجف، ط ٢٠١١.
- ✦ الوعي التاريخي والكتابة التاريخية العربية، رضوان السيد، مجلة الفكر العربي، ع ٢٧، س ٤، ١٩٨٢.